

## مظاهر الانحراف في مفهوم الجماعة

قد آلى إبليس على نفسه أن يجعل لكل أمر جاءت به الشريعة الغراء موردين من موارد الانحراف يوسوس بهما إلى أتباعه؛ فأما أحد الموردين فهو الغلو والإفراط في هذا الأمر إلى حد يجاوز به حدود المشروع، وأما الثاني فهو التفريط في هذا الأمر والتهاون فيه حتى يذهب بالكلية، ويبقى الحق شامخاً بين طريقي الانحراف الإيليسي، لتبقى خيرية هذه الأمة متمثلة في قوله تعالى: "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس"، فليس غريباً إذاً أن يتعرض مفهوم الجماعة بشقيه العلمي والعملية لمظاهر الغلو والجفاء بحيث تملك الجماعة وتتردى في أودية الفتن، أو يضيع كيانها وينمسخ حتى يتلاشى ذكريات باهتة على صفحات التاريخ، وإن الوقوف على مظاهر هذا الانحراف ومعالجة أسبابه واستئصال جذوره أمر لازم لنا إذا أردنا الخروج من مستنقع التشردم الذي نعيش فيه بلا ريب، عملاً بقوله تعالى: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"<sup>1</sup>

وسوف أستعرض بعض مظاهر الغلو في مفهوم الجماعة بشقيها لتكون نقاط انطلاقاً لتشخيص ومعالجة هذه الظاهرة المرضية في مجتمعاتنا المسلمة إن شاء الله.

### المطلب الأول: مظاهر الغلو في مفهوم الجماعة:

يمكن في الحقيقة تقسيم مظاهر الغلو في مفهوم الجماعة إلى قسمين باعتبار جهة الغلو أي المنهج العلمي أم في المنهج العملي السياسي، وسأضرب مثلاً لذلك فيما يلي:

#### أولاً: الغلو في جانب المنهج العلمي للجماعة:

إن تحديد الإطار العقدي للجماعة المسلمة في إطار الكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة حق بلا ريب، ولكننا وجدنا أن حدية هذا الإطار قد اتخذت عند البعض أشكالاً من الغلو المنهجي التي أضرت بالأمة المسلمة وعرضتها لكثير من البلية والفتن، ولا يعني هذا الطعن في سلامة المنهج الذي توهم هؤلاء الانشقاق عنه ولا في الدوافع التي دفعت هؤلاء إلى مثل هذا الغلو، إذ أن شدة وطأة البدع والتغريب والنفوذ الكبير للمناهج الكفرية والمشاريع الكفرية في مجتمعات المسلمين قد دفعت بالبعض إلى تحري الصفاء المطلق والكمال التام في سياق تصفية المنهج العلمي الاعتقادي حرصاً منهم - كما يتوهمون - على السلامة المطلقة لهذا المنهج. ومن مظاهر هذا الغلو ما يلي:

١- الوقوع في تكفير كل من خالف أهل السنة والجماعة:

وهذه من كبرى المصائب التي وقع أصحابها في نفس ما يعيرون على غيرهم من الفرق الضالة، ولعلي أشير إلى بعض موارد الشبهة عند هؤلاء:

أ- فمنها حديث الافتراق حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن بني إسرائيل افتقرت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة"<sup>2</sup>، فلقد فهم البعض من كون باقي الفرق في النار أنها كافرة، وهذا باطل وهو من باب توهم لزوم ما لا يلزم، فليس معنى أنها في النار أنها كافرة حتماً لأن النص يشمل الوعيد، والوعيد بالنار ليس محصوراً في الكفر، بل قد تفتقر بعض الجماعات على أصول بدعية غير مكفرة فتفارق منهج أهل السنة والجماعة وتتوعد بالنار لأجل المصيبة لا أنها تخرج من الملة. وواضح أن حمل النص على الكفر والحكم بلازم ذلك وهو تكفير كل من خالف أهل السنة والجماعة ولو بحجة المحافظة على نقاء العقيدة وسلامة الدين لا شك أنه من الغلو المذموم، وأنه على خلاف الحق.

ب- ومنها عدم التمييز بين التحاكم إلى غير الله وبين المخالفات الجزئية الواقعة عند الحكم مع بقاء أصل التحاكم إلى الله: وهذا يؤدي إلى تكفير الحاكم والإمام بالمعاصي كما حصل من الخوارج مع علي رضي الله عنه، فقد توهموا أن ما قبله من التحكيم بينه وبين معاوية مع كونه يعلم أنه على الحق توهموا وزعموا أن ذلك يستلزم الكفر مستدلين بقوله تعالى: "إن الحكم إلا لله"<sup>3</sup>، ولتفنيد حججهم موضع غير هذا وإنما القصد بيان وجه الغلو عند هؤلاء الذين بالغوا في الاحتياط لمفهوم الإيمان - بزعمهم - فوقعوا في الغلو والإفراط الذي انتهى بهم إلى هذه المفارقة المذمومة لجماعة المسلمين، فعاد عليهم هذا الغلو بنقيض مقصودهم.



موقع الأمن الفكري يقدم لكم هذه المطوية بعنوان :  
**مظاهر الانحراف في مفهوم الجماعة**